

إحياء علوم الدين

من علوم المعاملة ولكننا نشير منها الى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعاً انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك إلا وجهه وان ذلك صدق في كل حال أزلاً وابداً لأن الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود ألبته وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقى موجوداً فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام عرفت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ انا وجدناه صابراً نعم العبد إنه اواب فقال واعجابه اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد المهيئى حيث قرء بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه اشارة به الى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك ان المصنف اذا أحب تصنيفه لقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعتة فإن أحبه فما أحب إلا نفسه واذا لم يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب وهذا ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفيه عن هذه الحالة بفناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فنى وطول طله أربعة اذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجاهل لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة قول العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين وإذ رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غدا اعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون وكذلك امة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظريين النظر الثاني نظر من لم

يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان اذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاکرام الفريق الثاني ليس بهم عمی ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما